الأخطل مع الخلفاء

المقدمة الموسيقية..

المقدمة الغنائية....

أبو الفرج: لما استنزل عبد الملك زمر بن الحارث الكلابي من قرقيسيا أقعده معه على سريره ، فدخل عليه ابن ذي الكلاع، فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى فقال له: ما يبكيك؟ فقال: أمير المؤمنين كيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إنّي لم أجلسه معي أن يكون أكرم علي منك، ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني .. فبلغت الأخطل فقال: أما والله لأقومن في ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكلاع!

الأخطل: ماذا بك يا ابن ذي الكلاع؟

ابن ذي الكلاع: دعني يا أبا مالك فإنّه لم يعد لصاحب الحق مقال.

الأخطل: ما هذا الذي تقوله؟ أنت عزيز علينا وأنت على أمير المؤمنين أعز مقاماً وأعلى جناباً.

ابن ذي الكلاع: كان هذا في الماضي أما اليوم وقد استنزل زفر بن الحارث الكلابي من قرقيشيا فقد تغيرت الأقدار وتبدلت المصائر.

الأخطل: ويلك يا ابن ذي الكلاع..ماذا يعنيك أنت من أن يستنزل مثل زفر بن الحارث الكلابي فهذا شأن من شؤون السلطان.

ابن ذي الكلاع: إلا في الحال التي وجدت عليها هذا الرجل عند أمير المؤمنين..

الأخطل: لا تتدخل فيما لا يعنيك.

ابن ذي الكلاع: بل هو أمر يعنيني يا أبا مالك..قل لي: أوَلست وقومي قد قاتلنا في طاعة أمير المؤمنين؟

الأخطل: بلى والله وأنت صادق.

ابن ذي الكلاع: أوَليس أنّ دماءنا قد سالت وأرواحنا قد زهقت ونساءنا قد ترملت وأطفالنا قد تيتموا بالحروب التي خضناها دفاعاً عن حقوق عبد الملك بن مروان؟

الأخطل: كل هذا صحيح..لكن للسلطان ظروفه.

ابن ذي الكلاع: لكن هذه الظروف لم ترد في كلام أمير المؤمنين.

الأخطل: وهل لقيته؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

ابن ذي الكلاع: صباح هذا اليوم.

الأخطل: ألا تفصح قليلاً فتقول لي تفصيل هذا اللقاء..

ابن ذي الكلاع: أي والله أقول لك..صباح هذا اليوم استؤذن لي على أمير المؤمنين في ديوانه فدخلت عليه..
نقلـــــة.....

ابن ذي الكلاع: السلام على أمير المؤمنين..

عبد الملك: " باحتفال " أهلاً بك يا ابن ذي الكلاع..فأنت والله الولي الصادق..

ابن ذي الكلاع: تكفينا شهادة أمير المؤمنين في صدق ولا تناله.

عبد الملك: الدنيا كلها تشهد لولائك.

ابن ذي الكلاع: " يتهدج صوته " لكن ألا ترى يا أمير المؤمنين أنّ ما تراه عيناي هو غير ما تسمعه أذناي؟

عبد الملك: وما ذاك؟

ابن ذي الكلاع: أليس مما يبكي القلب ويذري الدموع في العينين أن يكون هذا الذي إلى جانبك حيث هو وأن أكون أنا حيث أنا؟

عبد ا لملك: ماذا تقصد يا ابن ذي الكلاع؟

ابن ذي الكلاع: " يزداد صوته تهدجاً حتى البكاء " أدخل عليك يا أمير المؤمنين فأجد زفر بن الحارث الكلابي إلى جانبك.

عبد الملك: أهذا الذي يزعجك ويبكيك؟

ابن ذي الكلاع: أمير المؤمنين ، كيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك؟ ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض!

عبد الملك: على رسلك يا ابن ذي الكلاع إنّي لم أجلسه معي أن يكون أكرم علي منك لكن لسانه لساني وحديثه يعجبني..

الأخطل: " فترة صمت " وماذا بعد يا ابن ذي الكلام؟ ألم تقل له شيئاً؟

ابن ذي الكلاع: وماذا أقول له يا أبا مالك؟ خليفة وأمير المؤمنين يقول ما قال ثم أخالف عن قوله؟ لكنّي والله ما رضيت وما اقتنعت فلم ألبث حتى استأذنت وخرجت ثم قلت في نفسي أزور الأخطل أما مالك فأقص عليه حديث هذا الصباح.

الأخطل: لا تجعل لما رأيت حجماً أكبر من حجمه..

ابن ذي الكلاع: كيف يا أبا مالك..وهل هناك ما هو أدعى إلى الأسى والحزن من أن يجد الولي نفسه حيث وجدتني وأن يرتفع العدو إلى سرير الملك؟

الأخطل: على رسلك يا ابن أخي..وترفق بنفسك..فإنّ لكل مقام مقالاً..اليوم نقضي معاً ليلة سمر وطرب وغدا أقوم مقاماً لا تقومه أنت أبداً.

ابن ذي الكلاع: خير البر عاجله.

الأخطل: لكن مجلس عبد الملك يجب أن يكون قد انفض فلا تذهب نفسك على ما رأيت حسرات ليث قليلاً فيأتيك بالأخبار من لم تزود..تعال معي نجلس مجلساً طيباً ونأكل طعاماً لذيذاً ونسمع أصواتاً جميلة.

فترة صمت ثم مقدمة موسيقية..رجل يغني...,.

لعلّ الليالي تستجِدّ لقاءنا ... فأشكو بِعاداً زادني فيكمُ حُبّا

لقد طال هذا البعد حتى أذاقَني ... عذاباً ولقّاني به خطبُه خطْبا

إذا الريح هبّتْ من سماوة أرضكم ... ذهِلتُ فلم أملِك فؤاداً ولا لُبّا

وأستخبرُ الركبانَ عنكم لعلّني ... بذاك أقضي من سلام لكم نحبا

فلا مبلغ عنكم إليّ رسالة ... ولا قائل خيراً ولا دافع كتْبا

لعل الذي أفضى بنا لتفرّقٍ ... يسنّي لنا لقيا ويُسنِي لنا قربا

الأخطل: " فترة صمت " والآن يا ابن ذي الكلاع..هل هدأت نفسك؟ وهل أطربك ما سمعت؟

ابن ذي الكلاع: ما سمعت يا أبا مالك ممتع مطرب لكن نفسي لن تهدأ حتى أعلم ما ستفعله.

أبو الفرج: ودخل الأخطل على عبد الملك فأنشده ثلاثة أبيات فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا في خطة في رأسك قال: أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وقَدْ يَنْبُتُ المرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى وتَبْقَى حزَازاتُ النُّفُوس كما هِيا

قال: فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال: أذهب الله حزازات تلك الصدور فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتني! فكان زفر يقول: ما أيقنت بالموت قط إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال.

الأخطل: " من بعيد " أين ابن ذي الكلاع؟

ابن ذي الكلاع: لبيك أبا مالك.

الأخطل: لتهدأ نفسك يا ابن أخي..فقد بلغت من عدوك المقام المحمود عندك..

ابن ذي الكلاع: " باحتفال " بالله عليك إلا قلت لي ماذا فعلت.

الأخطل: أنا الأخطل يا ابن ذي الكلاع..لقد صدق كعب بن جعيل حين سماني الأخطل..إذ ليس في دنيا العرب لسان أطول من لساني..

ابن ذي الكلاع: ألا تطمئنني يا أبا مالك؟

الأخطل: حباً وكرامة..لقد دخلت صباح هذا اليوم على أمير المؤمنين في ديوانه وقلت:

نقلـــــة.....

الأخطل: السلام على أمير المؤمنين.

عبد الملك: وعليك السلام يا أبا مالك ما هذا الذي بلغني عنك.

الأخطل: وما ذاك أيها الملك؟

عبد الملك: قيل لي أنّك أنشدت بعض شعرك أغيته بقولك:

مشى قرشيةً لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

الأخطل: هذا صحيح..

عبد الملك: ما أخرج هذا منك إلا خطة في رأسك.

الأخطل: أنت تعلم يا أمير المؤمنين أنّ مثلي لا يصدر إلا عن خطة ولا يتصرف إلا لتحقيق غرض معين.

عبد الملك: حسن..فما هو غرضك.

الأخطل: أن تخرج هذا الذي أجلسته على يمينك فقد أحزنت يا أمير المؤمنين أولياءك وأيأستهم من حلمك ودفعت أعداءك إلى ترقب الفرص ثم الإنقضاض على حكمك.

عبد الملك: ما هذا الذي تقوله يا أبا مالك؟

الأخطل: أو تريد برهاناً عليه يا مولاي؟

عبد الملك: وبرهاناً دافعاً قبل أن ينفجر غضبي.

الأخطل: حنانيك يا أمير المؤمنين..ماذا تقول فيمن ينظم البيت التالي:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات الصدور كما هيا

عبد الملك: أقول: إنّه لا يؤمن له جانب وهو يحكي حكاية الغدر والضغينة.

الأخطل: إنّ صاحب هذا البيت هو زمر بن الحارث الكلابي الذي تضعه الآن في موضعه من سريرك.

نقلـــة.....

ابن ذي الكلاع: رائع..عظيم..لقد قمت والله المقام المحمود وإنّك لتستحق كل مكرمة يا أبا مالك.. قل لي: ماذا حدث بعد ذلك؟

الأخطل: بعد ذلك تغير وجه عبد الملك وقبض رجله ثم فاجأ كل من في المجلس بأن ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال: أذهب الله حزازات تلك الصدور.

ابن ذي الكلاع: حياك الله يا أبا مالك ولا سكت قدمك يا أمير المؤمنين الآن قد هدأت نفسي..لكن قل لي: ماذا كان من زفر بعد أن دفعه عبد الملك برجله في صدره؟

الأخطل: بدت معالم الخوف على وجهه ولكنه لم يلبث حتى تماسك وقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين..العهد الذي أعطيتني ولم يرد عبد الملك عليه وفي ظنّي أنّ هذا اليوم هو نهاية عهد زمر برضى الخليفة عنه.

ابن ذي الكلاع: صدقت وبررت..ولعلنا بعد الذي تحقق جديرون بالإحتفال به.

الأخطل: وما الذي تستطيع أن تعده لنا؟

ابن ذي الكلاع: المنظر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن..

مقدمة موسيقية..صوت امرأة تغني..

قد كنت من قبلِ أن أهوى وأعشق لا ... أرثي لأهل الهوى في كل ما صنعوا

فاليوم أعذرُهم فيه وأرحمُهم ... إذ نحن فيه سواء كلنا شرَع

فدع عتابكَ في ريم علِقْتَ به ... فقلما عاشق بالعَتْب ينتفع

قد حصحص الحقُّ إني عاشق كلِفٌ ... والعاشقون لسلطان الهوى تبَع

أبو الفرج: قيل لأبي العباس أمير المؤمنين: إنّ رجلاً شاعراً قد مدحك ، فتسمع شعره؟ قال: وما عسى أن يقول في بعد قول الأخطل في بني أمية:

شُمسُ العَداوَةِ حَتّى يُستَقادَ لَهُم وَأَعظَمُ الناسِ أَحلاماً إِذا قَدَروا

أبو العباس: هيه يا عمر..ما الجديد من أخبار الناس؟

عمر بن شبة: الناس على بابك يا أمير المؤمنين يتزاحمون بالمناكب وفيهم شاعر يقول: أنّه نظم قصيدة يمدحك فيها.

أبو العباس: أنت عمر بن شبه تأتيني بمثل هذا النبأ وأنت تعلم أنّ غيره من الشعراء قد ذهب بخير ما في المديح من الشعر؟

عمر بن شبة: لعلك تقصد الفرزدق أو جرير.

أبو العباس: كلا يا عمر بل الأخطل.

عمر: ولماذا الأخطل يا أمير المؤمنين؟ وبين شعراء العربية من جاوزه وبجاوزه في مدحه ووصفه ونسيبه.

أبو العباس: كلا يا عمر فإنّ في مخولة الأخطل ما يملأ النفس تيها وكبرا.

عمر: لكلّ منه وطريقته في الأداء.

أبو العباس: حسن أعود بك إلى ما رواه محمد بن سلام فقد قال: قال معاوية بن أبي عمرو بن العلاء أي البيتين عندك أجود يا محمد؟ بيت جرير أم بيت الأخطل في المدح.

عمر: لعلك تقصد بيت جرير الذي يقول فيه:

أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المِطايا وَأَندى العالَمينَ بُطونَ راحِ

أبو العباس: وأقصد أيضاً البيت الذي يقول فيه الأخطل عن بني أمية:

شمسُ العداوةِ ، حتى يستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماًن إذا قدروا

عمر: وماذا كان الجواب يا أمير المؤمنين؟

أبو العباس: قال محمد بن سلام: بيت جرير أحلى وأشير وبيت الأخطل أجزل وأرزن.

عمر: وأيهما تفضل يا أمير المؤمنين؟

أبو العباس: الأجزل والأرزن..

عمر: أمير المؤمنين أعلم بمواقع الكلام لكن...

أبو العباس: لكن ماذا يا عمر؟

عمر: لكن ألا ترى يا أمير المؤمنين أنّ التمييز بين الشعر والشعر قد يعتمد على مزاج الشخص وهواه وما يفضله من فنون التعبير؟

أبو العباس: هذا صحيح...فأنا أعلم أنّ جريراً يغرف من بحر لكن الأخطل شمسو المقادة..يقذف باللفظ والمعنى فيصيب ويصحي..من أجل هذا كله لا أسمع شعراً ينشد أمامي ما لم يكن في مستوى قول الأخطل:

شمسُ العداوةِ ، حتى يستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماًن إذا قدروا

عمر: حسن يا أمير المؤمنين فما تقول في صوت من أصوات أهل المدينة؟

أبو العباس: أما هذا فنعم..

مقدمة موسيقية..رجل يغني..

والتي تيّم الفؤاد هواها شمس حُسنٍ بها العقول حيارى

يُخجل الناظرين منها محيّا كمحيّا الصّباح حين أنارا

هي أنْسي ولذّتي ونديمي ودوائي إذا شكوتُ أوارا

ورمتني بأسهُمٍ من لِحاظٍ ماحطَتْ من فؤادي الأعشارا

ومتى شئت وصلها كان منها كون منع ولا رقيبٌ يُدارى

فلقد حال من زمانيَ حال ترك العقل والفؤاد مُطارا

أبو الفرج: عن المدائني قال: إمتدح الأخطل هشاماً فأعطاه خمسمائة درهم فلم يرضها وخرج واشترى بها تفاحاً وفرقه على الصبيان فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبحه الله ما ضر إلا نفسه.. وقال عبد الملك للفرزدق: من أشعر الناس في الإسلام؟ فقال كفاك بالأخطل إذا مدح.

ابن ذي الكلاع: أراك متجهم الوجه يا أبا مالك فما الذي دهاك؟

الأخطل: دهاني ما يدهى الرجل الذي يشهد الكرامات تسقط فلا يجد من يدافع عنها.

ابن ذي الكلاع: هذا كلام غامض لا أدرك معناه ولا الفرض منه.

الأخطل: حسن..فهل تتصور يا ابن ذي الكلاع أنّ شاعراً مثلي يتجاهله الخليفة وينزل قدره فيجيزه بخمسمائة درهم.

ابن ذي الكلاع: لا بد أنّ في الأمر سراً يا أبا مالك.

الأخطل: وهل تظن أنّني سأكف عنه؟

ابن ذي الكلاع: مثلك لا ييأس ولا يمل..لكن قل لي: هل صحيح ما سمعته صباح اليوم؟

الأخطل: وماذا سمعت؟

ابن ذي الكلاع: حدثني بعضهم عن بعض ما كنت تفعله وأنت طفل صغير.

الأخطل: لقد كنت أفعل شيئاً كثيراً! هل حدثوك عن هجمتي على كعب بن جعيل؟

ابن ذي الكلاع: كلا..بل قيل لي شيء آخر..

أبو الفرج: لحظ الأخطل شكوة لامرأة أبيه فيها لبن ، وجراباً مفيه تمر وزبيب وكان جائعاً يضيق عليه فقال لها: يا أمه آل فلان يزورونك ويقضون حقك وأنت لا تأتينهم وعندهم عليل ، فلو أتيتهم لكان أجمل وأول بك. قالت: جزيت خيراً يا بني! لقد نبهت على مكرمة فلبست ثيابها ومضت إليهم فمضى الأخطل إلى الشكوة ففرغ ما فيها والى الجراب فأكل التمر والزبيب كله وجاءت فلحظت موضعها فرأته فارغاً فعلمت أنّه قد دهاها وعمدت إلى خشبة لتضربه بها فهرب وقال:

أَلَمَّ عَلى عِنَباتِ العَجوزِ

وَحُسوَتِها مِن غِياثٍ لَمَم

فَظَلَّت تُهَينِمُ في بَيتِها

وَتَلعَنُ وَاللَعنُ مِنها أَمَم

يضحكان طويلاً.....

ابن ذي الكلاع: " يحاول أن يمسك نفسه " تفعل هذا في صباك وتيأس من أن تنتزع المكافأة المجزية من هشام بن عبد الملك؟

الأخطل: صدقت وبررت فسأعد لهشام من القصيد ما لا تنغلق معه خزانة ماله أبداً..

موسيقى نهايـــــة.....